

في هذا العدد:

نبحث في دور الدين في العمل التنموي. يقدم ريك جيمس في البدء لمحة عامة عن علاقة الدين بالتنمية والتي تعد قوية وفي الوقت نفسه مضطربة. ويسلط الضوء على كيف أن الجهات المانحة إلى وقت قريب، تجاهلت المنظمات الدينية. وقد أدركت الجهات المانحة الدور الذي تساهم فيه المنظمات الدينية، فضلاً عن تأثير الدين على سلوكيات الأفراد. وبالتالي، فإن العديد من هذه الجهات تسعى لمعرفة كيف يمكن أن تعمل بشكل أفضل مع هذه المنظمات الدينية. وتواجه العديد من المنظمات الدينية خلافات حول مسألة تأثير هويتها الدينية على حقيقة عملها، وعلى ماذا تعمل وكيف تقوم بتنفيذ أنشطتها. وتعد هذه المسألة حساسة للغاية وتشكل تحديًا صعبًا.

يبين مقال جونثان بنتهول كيف أن العمل الخيري متأصل في معظم التعاليم الدينية. ويشير إلى أن الأديان تفسح المجال أمام عدد كبير من شبكات المجتمع المدني التي قد تتوفر لديها ميزة "التقارب الثقافي" والقيم المشتركة.

ومن ثم تعطي كارول راكودي، مديرة مبادرة البحوث التي مدتها خمس سنوات والممولة من قبل إدارة التنمية الدولية، لمحة عامة في مقالها عن بعض النتائج التي توصلت لها خلال هذه المجموعة الرائدة من البحوث. وقد تبين أنه حتى يومنا هذا مازالت النتائج حول الدين والتنمية متباينة. ومن الصعب التفريق بين مساهمات الدين عن تلك الخاصة بالثقافة.

ومن ثم توضح ليزيت فان دير ويل من منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس ومأمون أبو الركب من منظمة الإغاثة الإسلامية عبر العالم (Islamic Relief Worldwide)، كيف تتعامل المنظمات الدينية الأوروبية مع مسألة الهوية الدينية. وتقوم منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس بالنظر في ما يوحداهما ويلهماها – في سياق مختلف إلى حد كبير منذ أن بدأت العمل قبل 45 سنة. أما بالنسبة لمنظمة الإغاثة الإسلامية (Islamic Relief Worldwide) فإنها تلتزم بجميع أنشطتها بمبادئ الإسلام مع مراعاة متطلبات المعايير الدولية للعمل الإنساني. وخلافاً للكثير من الوكالات الإسلامية، فقد اختارت الإغاثة الإسلامية أن تكون جزءاً لا يتجزأ من نظام المساعدات الغربية.

الدين في التنمية: مواجهة التناقضات

تعد علاقة الدين بالتنمية علاقة وطيدة ولكن في الوقت نفسه غير مستقرة. وحتى وقت قريب تجاهلت الجهات المانحة والمنظرين في أمور التنمية المنظمات الدينية¹ إلى حد كبير. وقد نظروا إلى الدين على أنه مسألة تؤدي إلى الانقسام والرجعية؛ ومن الأفضل تجنبه وتجاهله. ولكن الجهات المانحة أدركت أهمية مساهمات المنظمات الدينية في مجال تقديم الخدمات، فضلاً عن تأثير الدين على سلوك الأفراد. وبالتالي فإن العديد الآن يحاولون معرفة كيف يمكن أن يشاركوا بشكل أفضل مع مختلف الجهات الفاعلة والمتنوعة في التنمية. وتقوم العديد من المنظمات الدينية بطرح مختلف الأسئلة حول كيفية تأثير الهوية الدينية بشكل إيجابي على ماهيتها وماذا يمكنها أن تعمل وكيف يمكن أن تنفذ أنشطتها. وتعد هذه العملية مسألة حساسة وتشكل تحديًا

1 رغم وجود الخلاف على هذا المصطلح، لأغراض التبسيط نستخدم مصطلح (FBO) أو منظمة دينية. يعرف كلارك المنظمة الدينية على أنها أي منظمة تستمد الإلهام والتوجيه لأنشطتها من تعاليم ومبادئ الدين أو من خلال أي تفسير خاص أو مدرسة فكرية تابعة لهذا الدين. (2008:6)

صعباً. وبالتالي تبقى العلاقة بين الدين والتنمية غير مستقرة، يسودها الشكوك وعدم الثقة. ومن هنا يتطلب التعامل بشكل فعال مع الدين في التنمية، النظر في مختلف التناقضات.

ويعد الدين بالنسبة للتنمية بمثابة وقودٍ شديد الإشتعال. فهناك العديد من الروايات المفزعة حول قيام الدين بإلحاق الضرر بالتنمية. وتظهر هذه الفطائع في العديد من العناوين الرئيسية وتبقى محفورةً في ذاكرتنا. وقد بينت المنظمات الدينية أنها من ضمن أكثر منظمات التنمية قدرة على التحول. وبنية الأب سيجيف دوندرز إلى أنه "ينبغي أن ندرك أن هناك دين جيد ودين سيء ودين سيء للغاية". وعندما نعمل مع المنظمات الدينية فإننا نعمل مع منظمات معقدة ويكتنفها الغموض والتناقضات.

المساهمات المحتملة للدين في التنمية

أثبتت التوقعات الخاصة بتراجع أهمية الدين أنها في غير محلها. ففي معظم أنحاء العالم مازالت مستويات الدين في تزايد مستمر. ولا تعد العلمانية في أوروبا الغربية هي المعيار العالمي. ويحتاج فهم أولويات وأهداف الشعوب من التنمية إلى تقدير وإدراك وجهات نظر الديانات نحو العالم. وقد تتمتع المنظمات الدينية بميزة إيجابية في هذا المجال.

ويشير جونثان بنتهول لاحقاً في مقالته ضمن هذه النشرة إلى أن العمل الخيري متأصل في معظم الأعراف الدينية. ويبين كيف أن الدين يفسح المجال أمام عدد كبير من شبكات المجتمع المدني، كي تكون بدائل للتنظيمات السياسية، فقد تتوفر لديها ميزة "التقارب الثقافي" والقيم المشتركة.

ويرى المحللون بأن المنظمات الدينية توفر خدمات صحية وتعليمية متعددة، ويمكنها أن تصل إلى أفقر الأشخاص، ولكن لا ينبغي التسليم بهذا الأمر ببساطة. وقد يكون لها أيضاً تأثير قوي على السلوك الفردي والرأي العام.

ولكن معظم الجهات المانحة لا تمتلك الفهم الكامل لكيفية تأثير الدين على التنمية، أو كيفية إجراء الاتصال الفعال مع المنظمات الدينية. فيصف البعض أنفسهم على أنهم "أميون في أمور الدين". واستثمر العديد في تعلم المزيد عن هذا الموضوع الذي يعد "جديداً".

استجابات الجهات المانحة – البحث في الأدلة

استثمرت العديد من الجهات المانحة في محاولة فهم المزيد حول العلاقة بين الدين والتنمية. وقد أنشأ البنك الدولي " قسم لشؤون الدين" (والذي يعرف حالياً باسم حوار التنمية حول القيم والأخلاق). ويقوم بتمويل "العمل التجريبي الخاص بالسياسات" ومعظمه من خلال مركز بيركلي في جامعة جورج تاون². وقد وضعت الحكومة الهولندية برنامج سياسي يعرف بـ "منتدى المعرفة حول الدين وسياسات التنمية". ويتم عقد مناقشات مواضيعية سنوياً في هولندا بين وزير التنمية ورؤساء المنظمات الدينية. وقامت إدارة التنمية الدولية في بريطانيا بتمويل برنامج للبحوث مدته خمس سنوات بالتعاون مع جامعة برمنغهام. وقدمت كارول راكودي، مديرة هذه المبادرة للبحوث³، في مقالتها لمحة عامة عن بعض النتائج لهذه المجموعة الرائدة من البحوث. وقد وجد أنه حتى الآن مازالت النتائج حول الدين والتنمية متباينة. ومن الصعب التفريق بين مساهمات الدين عن تلك الخاصة بالثقافة. وقد تبين أن المنظمات الدينية متنوعة ولكن بنفس الوقت تعد متناقضة، مما يجعل القيام بطرح التعميمات الخاصة بها مسألة صعبة للغاية. إضافة إلى ذلك فإن أداء ومساهمات المنظمات الدينية يختلف بين الحدود الدينية وضمنها.

ومن بين النتائج المستخلصة من مبادرات البحوث المتعددة كيف أن الكثير يعتمد على مدى اعتماد المنظمة على الأساس الديني. فإن قوة الهوية الدينية لهذه المنظمات تشكل أمر مهم للغاية. فأى منظمة تستخدم الدين كواجهة لجمع التبرعات أو لمجرد كون تأسيسها مستوحى من الدين، لا تختلف في واقع الأمر عن أي شكل من أشكال المنظمات غير الحكومية العلمانية. فمن المهم معرفة كيف تختار المنظمات الدينية تفعيل هويتها الدينية أثناء القيام بأنشطتها مختلفة. ولا يجب افتراض الخصائص المميزة لهذه المنظمات، بل هي في النهاية مسألة اختيار.

استجابة المنظمات الدينية

2 يمكن الرجوع إلى الموقع الإلكتروني <http://berkeleycenter.georgetown.edu/>
3 يمكن الرجوع إلى الموقع الإلكتروني www.rad.bham.ac.uk/index.php?section=1

هناك العديد من المنظمات الدينية التي تولي المزيد من الاهتمام بهويتها الدينية. ففي الماضي ابتعد الكثير من هذه المنظمات عن الخوض في مناقشات حول مثل هذه الأمور التي قد تكون مقتصرة عليهم فقط وقد تكون مسببة للخلافات. ومع إدراك هذه المنظمة بالحاجة إلى تفعيل الترابط بين معتقداتها ومجال عملها – فقد وجدوا أن البيئة الحالية تسمح على نحو متزايد بإجراء مثل هذه المناقشات، وتحاول بعض هذه المنظمات تطوير فهم مشترك لهويتها الدينية وتأثيرها على عملها. وقد وجدت المنظمات أنه من أجل فهم المزايا الخاصة بكونها منظمات تستند على الدين، فهي بحاجة إلى أن تكون أكثر وضوحاً حول هويتها الدينية وكيف تتخلل هذه الهوية في مجال عملها.

ولاحقاً في هذه النشرة، تُبين ليزيت فان دير ويل من منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس ومأمون أبو الركب من منظمة الإغاثة الإسلامية عبر العالم كيف تتعامل منطمتان دينيتان في أوروبا مع مسألة الهوية الدينية. بالنسبة لمنظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس فإنها تترك الآن ما الذي يوحدها ويلهما – وهو سياق مختلف إلى حد كبير من الذي كان حين بدأت المنظمة العمل قبل 45 سنة. أما بالنسبة لمنظمة الإغاثة الإسلامية فإنها تشدد على التزام جميع أنشطة جمع التبرعات إضافة إلى برامجها المختلفة، بمبادئ الإسلام، مع القيام بتبليغها لمتطلبات المعايير الدولية للعمل الإنساني. وخلافاً للكثير من المنظمات الإسلامية، اختارت الإغاثة الإسلامية أن تكون جزء لا يتجزأ من نظام المساعدات الغربي.

وتحتاج المنظمات الدينية إلى الشجاعة كي تحدد بشكل واضح سواءً لها أو للخارج ماذا تعني هويتها الدينية وكيف يتم تفعيلها ضمن نطاق عملها. وهنا يجدر الإشارة إلى أنه ينبغي أن لا تضع هذه المنظمات عدة أقنعة أمام مختلف أصحاب المصلحة. وبالتالي فإن تحديد الهوية الدينية هو بالتأكيد ليس بعملية سهلة، فالمعتقدات تعد مسألة شخصية للغاية. ويختلف تفسير الأفراد للعقيدة الواحدة ومدى تأثيرها على التنمية. وقد يكون من المغري أن لا يتم عرض مثل هذه الاختلافات، فقد تُظهر صراعات كامنة داخل المنظمة. وبذلك فإن التعامل مع الهوية الدينية ينبغي أن يتم مع مراعاة حساسية هذا الأمر وإبداء الاحترام والقيام بتغطية مختلف الجوانب بنحو شامل.

الخلاصة

قد يكون الدين بالنسبة للتغيير بمثابة وقود مهم ولكن قابل للاشتعال. فالمنظمات الدينية متنوعة ومعقدة للغاية. وتمارس هويتها الدينية بمختلف الطرق، ومع مختلف القوى، ومن خلال مختلف الشركاء، وبرؤيا ونتائج مختلفة. وقد يؤدي التمويل الذي لا يميز بين هذه الاختلافات إلى إلحاق الضرر أكثر منه إلى المنفعة. فإن العمل مع الدين والتنمية ليس للذين ينشؤون الحلول البسيطة. ولا يجدي مع أولئك المتعصبين الذين يرفضون الاستماع بجد إلى آراء ومعتقدات الآخرين. وتتطلب الاستفادة من المساهمات المهمة للمنظمات الدينية والقدرة على التخفيف من الأخطار الكامنة إلى فهم دقيق للدين والمنظمات الدينية. إضافة إلى توفر وعي ذاتي والامتناع عن إصدار الأحكام وفهم كيف يمكن للمعتقدات أن تؤثر على نظرتنا للأمور. وهذا يتطلب شجاعة في مواجهة مختلف التعقيدات والتناقضات.

ريك جيمس

مستشار رئيسي، إنترناك

rjames@intrac.org

تعميم الاهتمام بالدين في التنمية: المنظمات الدينية تستفيد من موجة النجاح الحالية

تُعد اجتماعات الجمعية المحلية للأيتام والأرامل في مدينة بامكو، مالي، في معظم فترات بعد الظهر. ويعد معظم أعضاءها الستين من الأرامل. وتكون معظم لقاءاتهم في فترة بعد الظهر إما لقراءة القرآن مع الإمام، أو مساعدة بعضهم البعض. ويقومون أيضاً بمساعدة أرامل أخريات قد يكونوا في حالة أسوأ منهم، ويقومون كذلك بإدارة رياض الأطفال المدعومة من قبل منظمة الإغاثة الإسلامية عبر العالم. وتقوم منظمة الإغاثة الإسلامية والتي مقرها بريطانيا بكفالة العديد من الأيتام ضمن برنامج صمم خصيصاً لمساعدة المجتمعات الأكثر فقراً. وضمن مساعدتها لرياض الأطفال تقوم الجمعية المحلية للأيتام والأرامل بشراء أقراص العسل المحلية وتحويلها في مشغل محلي إلى ثلاثة منتجات تشمل: العسل، والصابون، وكريم خاص بالجلد. وفي مالي مثل معظم المجتمعات الإسلامية، لا يزال ينظر إلى الترميل على أنه وضع اجتماعي "له أهميته" بدلاً من التقليل من شأنه. ويبدو أن تحفيز هذه الفئة من المجتمع على القيام بالعمل الإنتاجي هو الطريقة المثالية لاستخدام أموال المساعدات الخارجية للوصول إلى الفئات الفقيرة.

وبالمقابل يقوم المركز اليسوعي للتفكير اللاهوتي (www.jctr.org.zm) في لوساكا، زامبيا، بنشر مسح شهري عن "سلة الاحتياجات الأساسية" والتي تم إطلاقها للمرة الأولى في عام 1991، وذلك لتسليط الضوء على الأثر المدمر "للتكيف الهيكلي"، والذي ينظر إليه الآن على أنه رافد مهم لوضعي السياسات والقائمين على الحملات والمجتمعات المحلية. ويكشف هذا المسح عن الصراع القائم من أجل تلبية الاحتياجات الأساسية من خلال المقارنة بين التكاليف المعيشية الأساسية مع متوسط الأجور ودخل الأسر المعيشية بشكل عام. ويرى المركز أنه "قد تحول من مجرد كونه سجل إحصائي لأحداث التاريخ إلى قيامه بلعب دور البطولة في دراما الحياة"

وقد بين المركز اليسوعي للتأمل اللاهوتي كيف أن "لاهوت التحرير" والذي أدين من قبل الفاتيكان، قد تم تقبله الآن ضمن صلب التعاليم الكاثوليكية الاجتماعية. وترى الكنيسة أن دورها هو مساعدة الناس على أن يكونوا جهات فاعلة في التنمية الخاصة بهم، بدلاً من أن يكونوا مجرد ضحايا سلبيين. وي طرح برنامج مثل "سلة الاحتياجات الأساسية" تساؤلات حول أمرين مميزين بشكل واضح والذي غالباً ما نميز بينهما بسهولة وهما: المسائل المادية مقابل الاحتياجات الروحية، وبين التفكير والعمل.

تعميم الاهتمام بالدين في التنمية

تم تعميم الاهتمام بالتمايز بين الجنسين وبنجاح في العديد من المنظمات غير الحكومية في الثمانينات من القرن الماضي – وتم دمجها في السياسات والممارسات على جميع المستويات. وإذا ما تم فهم التمايز بين الجنسين على أنه يشمل الإنجاب، والجنس، والأسرة، فإن تعميم الاهتمام به يعد أمراً ذو قيمة بالنسبة للقيام بالتفكير والتحليل. وهناك طلب ملح من قبل المجتمعات المستفيدة للقيام بتعميم الاهتمام بالدين أكثر من الحاجة إلى تعميم التمايز بين الجنسين. ومع ذلك، فإن الأديان تميل إلى استبعاد الغرباء بقدر ما تسعى إلى توحيد الناس، ولا تزال إلى حد بعيد تسيطر عليها السلطة الأبوية.

وأقترح أن يكون تعميم الاهتمام بالدين موضع ترحيب، شريطة أن يتم القبول بأن حدود مجالات الدين تبقى دائماً محل خلاف. وبالتالي فإنه من غير المعقول أن نعتقد أن هناك تعريفات دقيقة لكلمات مثل "الدين" و "الإيمان" و "الروحانية" وغيرها من الكلمات.

ويكمن السؤال هنا لماذا تستفيد الآن المنظمات الدينية، والتي كنت قد أعطيت مثالين عليها سابقاً، من موجة نجاح فكرة التعميم؟ أولاً لأن العمل الخيري متأصل في التعاليم الدينية، حتى وإن تم تجاهله. ثانياً يفسح الدين المجال أمام شبكات المجتمع المدني، على الرغم من أنه لم يعترف بها إلا في الأونة الأخيرة كجزء من المجتمع المدني - وأقتبس هنا تعريف بنوات تشالاند: "مساحة للعمل التطوعي الجماعي والذي يمكن أن يكون أساساً للاستقلال الذاتي"

وثالثاً فإن هذه الشبكات قد تعطي الفرصة لتجاوز الهياكل السياسية التي كثيراً ما تؤدي إلى تبيد وسوء استخدام لتدفقات المعونات. رابعاً يمكن أن تستفيد المنظمات الدينية بما يعرف بـ "الميزة النسبية" أو "التقارب الثقافي" - وهي العلاقة المتميزة بين الجهات المانحة والمستفيدين من المعونات - حتى عند إتباع القوانين الدولية الخاصة بالممارسات التي تحظر التبشير والتمييز. ويعد القرب الثقافي الآن موضوع بحث للعديد من الدراسات المحدودة. وقد تكون وحدة الدين لها ميزتها، ولكن ينبغي عدم الاعتماد عليها على حساب الالتزام بالأداء الجيد.

الدين والتنمية في المستقبل

ما الذي يمكن أن يحمله المستقبل للمنظمات الدينية والتنمية؟ أولاً يواجه بعض رجال الدين البارزين مشاكل جديدة تتعلق بسمعتهم ومصداقيتهم. ولكنهم يشتركون جميعاً بالتزامهم الاجتماعي والإنساني المقبول بشكل واسع، وبذلك يتخطون الحدود الوطنية. وقد يسعون لمزيد من التركيز على النواحي الإنسانية، وبالتالي على المنظمات الدينية. وتعد أخطر عقبة في هذا المجال المشاكل السياسية الصعبة التي تواجهها وكالات الإغاثة الإسلامية منذ أحداث 9/11 والتي من المرجح أن تستمر لعدة سنوات قادمة، على الرغم من الجهود التي تبذلها "شبكة الأمن والجمعيات الخيرية" في واشنطن العاصمة، ومشروع الجمعيات الخيرية الإسلامية في جنيف⁴، لإزالة هذه العقبات من أمام الجمعيات الخيرية الإسلامية التي يمكن أن تثبت نزاهتها.

4 من بين مسؤولياته الأخرى، فإن جوناثان يعمل أيضاً مستشاراً مالياً لمشروع الجمعيات الخيرية الإسلامية -

<http://graduateinstitute.ch/ccdp/religion-politics-islamic-charities.html>

ثانياً فإن المنظمات الدينية لا تعد هيئات منفصلة عن باقي أنواع الوكالات التي تقدم المساعدات. ومن الواضح أن التعاون الفعال يمكن أن يحدث ليس فقط بين المنظمات الدينية من مختلف الطوائف (الإغاثة الإسلامية والوكالة الكاثوليكية للتنمية الخارجية) بل أيضاً بين المنظمات الدينية والمنظمات غير الحكومية العلمانية (المعونة الإسلامية (Muslim Aid) ومنظمة أوكسفام). وعلاوة على ذلك، فإن أنجح المنظمات غير الربحية العلمانية مثل أطباء بلا حدود⁵ التي تتسم بمزايا مثل - كونها مؤسسة ذات سمعة أسطورية، ولديها قيادة مؤثرة، ومعايير أخلاقية ثابتة، - لديها فعلياً قواسم مشتركة مع المنظمات الدينية.

جوناثان بنتهول

قسم الانثروبولوجيا في كلية جامعة لندن

jonathanbenthall@hotmail.com

هل تختلف المنظمات الدينية عن غيرها من المنظمات؟

غالباً ما يكون هناك جدل حول مسألة كون المنظمات الدينية تقدم مساهمات هامة ومميزة للتنمية، وذلك بسبب دوافعها الدينية، وتواجدها في المناطق النائية، وقربها من الفقراء، وصلتها الثقافية مع الناس الذين يشاركونها معتقداتها الدينية. وبدأت البحوث التي يجريها برنامج البحوث الدينية والتنمية في جامعة برمنغهام بتقييم ما إذا كانت هذه الإدعاءات صحيحة أم لا.

وبينت محاولات رسم معالم المنظمات الدينية العاملة في مجال التنمية، في الهند وباكستان ونيجيريا وتنزانيا، أن تنوع حجم هذه المنظمات ونطاق عملها يعتمد على التعريف المعتمد للمنظمات الدينية وعلى التقاليد المحلية للعمل الخيري، إضافة إلى تاريخ الاستعمار في تلك البلد والتكوين الديني والسياسي في مرحلة ما بعد الاستقلال والاعتماد على المعونة. ولا يوجد حالياً أي تعريف مقبول عالمياً للمنظمات الدينية وهناك افتقار للبيانات المنهجية، وبالتالي فإن الحصول على تقديرات دقيقة حول مساهمات المنظمات الدينية في الأنشطة التنموية يعد أمراً غير ممكن. بالإضافة إلى ذلك فإن مصطلح "منظمة دينية" يشكل بحد ذاته مشكلة وذلك للأسباب التالية:

- نشأ هذا المصطلح ضمن سياق غربي، ويتعلق على وجه التحديد بظهور "الحقوق الدينية" في الولايات المتحدة، وفي البلدان النامية، ويرتبط بـ "الصناعة التطويرية"، وقد لا يستخدم على الإطلاق لا سيما حيث تكون فكرة "الإيمان" لا تعد جزءاً من التعاليم الدينية الرئيسية أو حين لا يتوفر ما يعادل المعنى الدقيق للكلمة في اللغات المحلية.
- قد لا يعبر بدرجة كافية عن المعنى التنظيمي للممارسات الدينية وأنشطتها الإنمائية، والتي يعد الكثير منها مرتبط بأنشطة خاصة بالمساجد أو الأضرحة أو الطوائف المسيحية.
- من الصعب التمييز بين المنظمات الدينية والمنظمات غير الدينية.

ونتيجة لذلك، فإن تصنيف المنظمات الإنسانية ضمن فئتين - 'الدينية' و 'العلمانية' - غالباً ما يكون غير مفيد، وخصوصاً عندما يكون معظم الناس متدينين أو معظم المنظمات العلمانية ينظر لها على أنها موضع شك، مثل الباكستان. وكما هو الحال مع المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني على نطاق أوسع، فإن المنظمات التي تستمد أفكارها وتوجيهاتها من تعاليم ومبادئ الدين، قد لا تكون منظمات دينية ويمكن أن تتخذ أشكالاً عديدة، وتتمسك بمختلف القيم وتشارك في مجموعة واسعة من الأنشطة. ورغم أن بعض المنظمات تشمل وتهتم بالفقراء، فإن العديد منها تسعى إلى إفادة من هم من أبناء دينها والذين قد لا يكونون دائماً من الفقراء.

عند النظر في ما يمكن أن يفعله الدين، فمن الضروري تحليل كيف أو إلى أي مدى قد يكون الدين جلياً في دوافع أي منظمة وتصوراتها للتنمية، واختيارها الأنشطة، وممارساتها الإدارية، ومصادر التمويل، والمعايير التي يتم بناءاً عليها تقييم الأداء. ويمكن أن تشير ملامح أي من هذه المجالات ليس فقط إلى ما إذا كان الدين مهم بالنسبة للمنظمة، بل كيف يمكن أن ينعكس على عملياتها ويؤثر على نتائج أنشطتها.

وأجريت البحوث في باكستان في منطقة السند على ست منظمات دينية كبرى تعمل محلياً، وقامت بمقارنتها مع عدة منظمات مهنية تنموية. وقد تبين أنه يمكن تمييز هذه المنظمات عن بعضها البعض من خلال ثلاث خصائص:

5 لمزيد من التفاصيل بشأن هذا المثال وغيره، يرجى الرجوع إلى: Benthall, J. (2008) Returning to Religion: why a Secular Age is Haunted by Faith, London: I.B. Tauris & Company Ltd.

- مصادر تمويلها. فقد يعد المصدر الرئيسي لتمويل المنظمات المحلية من الهبات الفردية المدفوعة لأسباب دينية بدلاً من المصادر المقدمة من المؤسسات المانحة الدولية.
- تركيز أنشطتها. تركز أنشطتها بشكل أساسي على توفير الإغاثة والرعاية الفورية، والتي تجسد عمل المنظمات الخيرية المحلية، إضافة إلى الاهتمام بالتنمية على المدى الطويل.
- علاقتها بالدين. لاسيما في ما يتعلق بتعيين الموظفين إضافة إلى ماهية هويتها.

وتلعب الكنائس المسيحية في تنزانيا دوراً مهماً في توفير التعليم والصحة على المستوى الوطني، ويمكن أن تختار أيضاً الانخراط في الأنشطة الإنمائية الأخرى. وهناك القليل من المنظمات الإسلامية المشابهة. وقد وجدت الدراسات في منطقتين هما نيواالا البعيدة والفقيرة وذات الأغلبية المسلمة، ومنطقة ماجو المزدهرة زراعياً وذات الأغلبية المسيحية، أن معظم منظمات المجتمع المدني عدا المساجد والكنائس تعتمد على مانحين من الخارج. وارتبط معظم التمويل الخارجي منذ عام 2004 بقضايا التوعية والوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، إضافة إلى دعم الرعاية الاجتماعية للأطفال الفقراء والأيتام. وبسبب هذا الوضع، رأت معظم منظمات المجتمع المدني الدينية والعلمانية، أن هذه المجالات هي ضمن عملها الرئيسي، بالرغم من كون العديد منها قد أنشأ للقيام بأنشطة أخرى. وتتلاشى الاختلافات بين المنظمات الدينية والعلمانية في مثل هذه البيئة الموجهة من قبل الجهات المانحة والمعتمدة على المساعدات: فمعظم الذين يعملون مع منظمات المجتمع المدني هم من المتدينون، في حين تشارك معظم المنظمات الدينية في أنشطة تنموية مماثلة لتلك التي تقوم بها المنظمات الأخرى. ويؤدي تأثير القيم الدينية على عدة مجالات إلى صعوبة تقييم انعكاس هذه القيم على نتائج التنمية، إضافة إلى حقيقة أن معظم التمويل المتاح هو موجه نحو مجالات غير ملموسة مثل دعم التوعية والوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز.

الخلاصة

يتميز برنامج البحوث الذي تموله إدارة التنمية الدولية (معونة المملكة المتحدة) (2005-2010) بأنه ذو تأثير واسع النطاق، ولكنه لم يكتمل بعد. ويشمل البرنامج على أحد عشر مشروع بحثي إضافة إلى شركاء من بريطانيا والهند وباكستان ونيجيريا وتنزانيا. وأصدر البرنامج أكثر من 45 ورقة عمل إضافة إلى موجز للسياسات، ويمكن تحميل هذه الوثائق من الموقع الإلكتروني www.rad.bham.ac.uk. وكما يتضح من المثاليين السابقين في هذه المقالة، فإنه من الممكن التوصل إلى استنتاجات مختلفة حول الدين والتنمية ضمن عدة سياقات وتشمل: لا يوجد هناك روابط ثابتة بين الدين والتنمية، ولا يمكن اعتبار المنظمات الدينية دائماً على أن لها طابع مميز. ولا تزال النتائج الأساسية للبرنامج آخذة في التطور. ولمعرفة المزيد يمكن متابعة آخر التطورات على الموقع الإلكتروني.

كارول راكودي

مدير برنامج الأديان وبحوث التنمية في جامعة بيرمنجهام

C.Rakodi@bham.ac.uk

التعاطف الديني: مصدر أساسي للعمل التنموي

يعد الدين في أجزاء كثيرة من العالم دافع أساسي في حياة الناس. ومع ذلك فإن العديد من منظمات التنمية الدينية في أوروبا تعاني من مشكلة تحديد هويتها الدينية. فماذا يعني أن تكون دينياً في سياق علماني؟ وقد قامت منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس في هولندا بالخوض في هذا الموضوع والعودة والبحث في بداياتها من أجل المضي قدماً.

الدين في التنمية

كلما زرت أفريقيا أو آسيا أو أمريكا اللاتينية يستوقفني الحضور القوي للدين بجميع أشكاله. فالكنائس والمساجد والمعابد تقفم بالنشاط. ويقدم المزارعون القرابين قبل القيام بزراعة أو حصاد أراضيهم. وتلتمس النساء وأصحاب الأعمال البركات قبل عقد الصفقات. ويلجئ القرويون إلى العلاج الروحي مثلما يلجئون إلى استخدام الدواء الأجنبي. فالدين يتخلل في كافة نواحي الحياة. فيحدد قيم الناس، ووجهات نظرهم نحو العالم، وخياراتهم وقراراتهم، سواء في السراء أو الضراء.

فقدان التعاطف الديني

على الرغم من ذلك فقد وجدت أن المعرفة والفهم للدين تختفي تدريجياً من منظمات التنمية الهولندية. وعندما انضمت إلى منظمة غير حكومية ذات منطلق ديني قبل 25 عاماً، كان العديد من زملائي هم من المبشرين السابقين ولديهم فهم عميق للمجتمعات المعنية فيها، والدور الذي يلعبه الدين فيها سواءً سلبياً أم إيجابياً. وعلى مر السنين، تقاعد هؤلاء العاملين وتم الاستيعاض عنهم بجيل جديد من العاملين في مجال التنمية: من الشباب المتعلمين المتحمسين والمهنيين، وغالباً ما يكونوا من ذوي التوجه العلماني⁶. ويشير هذا التحول الكبير في المجتمع الهولندي من مجتمع قائم على الدين إلى مجتمع علماني. وبالتالي فإن منظمات التنمية الدينية مثل كورديد ومنظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس⁷ فقدت تدريجياً تعاطفها مع دور الدين في التغيير الاجتماعي.

تجدد الاهتمام

لقد تجدد الاهتمام في السنوات الأخيرة في الدين كما هو واضح لدى منظمات التنمية الهولندية. وأدركت قيادة منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس أنه ينبغي لها أن تعيد صياغة هويتها الدينية وعلاقتها مع الكنائس إن كان مقدور لها أن تبقى فعالة وتحتل مكانة لدى موظفيها وأنصارها. وقد تبين هذا جلياً عندما طالبت الحكومة بدخل قدره 25% كشرط لتلقي التمويل الحكومي. وقد أدت هذه العوامل إلى أن تشارك منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس العمل مع الكنيسة البروتستانتية و Kerk in Actie المسؤول عن جمع التبرعات. وإضافة إلى ذلك، فقد ساهمت التوجهات الوطنية والدولية مثل تصاعد وتيرة الحركات الدينية الجديدة ومظاهر الخلافات في الإسلام، إلى تجدد الاهتمام في الدين كقوة محركة في المجتمع والتنمية.

وهكذا فقد قررت إدارة منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس البدء بتشجيع التفكير في هويتنا وتعزيز معرفتنا ومهاراتنا حول الدين والتنمية. وفي حين أن هذا الأمر مازال في مراحل التطوير، أود أن أشارككم أربعة دروس مهمة.

1. لا توعية في الخارج دون توعية في الداخل

أحد الدروس الرئيسية التي تعلمناها في منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس هو أنه لا يمكن أن نتوقع أن يكون الموظفون متبهرين لدور الدين في التنمية دون إدراك المنظمة لجذورنا وتطورنا على مر السنين. ولعل هذا يظهر جلياً بالحوار الجاري حول ما إذا كانت منظماتنا "ذات منطلق ديني" أو قائمة على "أساس الأخلاق". والذين يتمسكون بوجهة النظر الأولى يشيرون إلى تآصل جذور منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس في منظمات الكنيسة البروتستانتية و إلى ترسيخها في الحركات المسكونية العالمية⁸. ومن ناحية أخرى فإن أتباع وجهة نظر "أساس الأخلاق" يرون أن التسمية على أساس "المنطلق الديني" تعد محدودة للغاية وحصرية، إذا ما أريد إنصاف تطور منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس للعب دور المحترف في التنمية، وأن يكون التعاون مع المنظمات غير الحكومية والمؤسسات العاملة على أساس الاستدامة بقدر التعاون مع المنظمات الدينية وبناءً على من هو المؤهل لتحقيق أهداف التنمية. ومع تنامي التعاون بين منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس و Kerk in Actie واعتماد اللامركزية مؤخراً في المكاتب الإقليمية لمنظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس، وجدت الإدارة والموظفون أن هناك حاجة إلى تجديد الأسس التي توحد وتستوحي منها المؤسسة عملها. واستجابة لهذه الحاجة، تم تعيين فريق صغير من الموظفين لكتابة "قصة المؤسسة" لمنظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس.

2. قيم أساسية

واحدة من الملاحظات التي توصلت لها منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس أن ما يوحد الناس في العادة هو القيم وليس الدين. وقد حددنا ثلاث قيم أساسية لها جذور في الكتاب المقدس شكلت المقومات الأساسية لتفكيرنا وسلوكنا على مر

6 في هذا السياق، تشير 'العلمانية' إلى الرأي القائل بأن الدين يعد، أو لا ينبغي أن يكون جزءاً من الحياة العامة، ولكن يقتصر على النواحي الخاصة. ولا يعني ذلك أن الشخص الذي لديه مثل هذه الآراء يعد ملحد.

7 تعد منظمة كورديد (الكاثوليكية) ومنظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس (البروتستانتية) من أكبر منظمات التنمية القائمة على أساس الدين في هولندا. تأسست منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس في عام 1965 من قبل المجالس التبشيرية للكنائس البروتستانتية وبعض المنظمات المسيحية الاجتماعية، كلجنة مشتركة بين الكنائس لتوجيه أموال الحكومة نحو عمل الكنائس الاجتماعي في الخارج. وتحولت منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس إلى مؤسسة مستقلة في عام 1971. ومنذ الأعوام 2004-2005 تعمل المنظمة بشكل وثيق مع Kerk in Actie. وتلعب المنظمات دوراً محورياً في تحالف منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس مع ست منظمات أخريات من منظمات التنمية الهولندية (البروتستانتية). وتستخدم الميزانية السنوية الحالية لمنظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس التي تصل إلى حوالي 130 مليون يورو في دعم برامج التنمية في 50 بلداً حول العالم.

8 تعد منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس بمثابة 'مكتب كهنوتي متخصص' لمجلس الكنائس العالمي وهي عضو في تحالف الـ 100 كنيسة والمنظمات المرتبطة بالكنائس التي تعمل في مجال المساعدات الإنسانية والتنمية.

السنين وتشمل العدالة والرحمة والرعاية. وتعكس هذه القيم التزامنا بالوقوف إلى جانب أولئك الذين يناضلون من أجل العدالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال اللجوء إلى وسائل غير عنيفة، وتمثل احترامنا وتضامننا مع الفقراء والمهمشين كأفراد يتمتعون بالكرامة، واهتمامنا برفاه العالم أجمع. ويجري حالياً الإعداد لمجموعة أدوات للإدارة تبين كيفية تطبيق القيم الأساسية خلال ممارسات العمل.

3. القيادة

عند النظر في هوية المنظمة وقيمها والدور الذي يلعبه الدين فيها، فإن وجود قيادة مثالية إضافة إلى توفر الدعم الفعال من قبل الإدارة العليا له أهمية بالغة للقيام بمثل هذا الدور الاستراتيجي. وينبغي أن تكون هذه القيادة على استعداد لتنفيذ ما تعد به في العادة. وفي هذا المجال فإن الثقة والمصادقية تعد من العوامل الأساسية للنجاح.

4. معرفة الدين

سواءً بسبب خلفيتنا أو طموحنا بأن نكون لاعبين فعالين في التنمية، فمن المهم أن يتوفر لدى موظفينا معرفة جيدة بالدين. وهذا يعني أن نكون على دراية بالقيم واللغة ودوافع وثقافات الطوائف الدينية، وأن يتوفر لدينا المهارات اللازمة للتعاون عبر مختلف الثقافات والاختلافات الدينية. وبالتالي فإن المنظمة ملزمة بأن تنمي قدرات الموظفين، وهو أمر يجري حالياً تجريبه. ولتشجيع التعلم ضمن إطار المنظمات وتبادل الخبرات، فإن منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس لها دور أساسي في هذا المجال، فهي عضو فعال في مركز معارف الدين والتنمية⁹، وتشارك في تمويل كرسي أكاديمي في مجال التنمية والدين في معهد الدراسات الاجتماعية في لاهاي.

الخلاصة

لقد شرعنا في رحلة مثيرة لبيان ما يوحد منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس ويساعد على إلهامها في عملها ضمن سياق مختلف إلى حد كبير مقارنة بذلك الذي أنشئت فيه المنظمة قبل 45 عاماً. ومن خلال هذا الرحلة التي سلكناها نود أن نكون واضحين مع جذورنا المسيحية وتطورنا كمنظمة دولية تضم موظفين وشركاء من مختلف الثقافات والأديان. وبالتالي يكون الشمول هو المبدأ الأساسي في تحديد رؤيتنا، وقيمنا وما قد يلهمنا. ويعد التعاطف الديني السمة الرئيسية التي نرغب في المحافظة عليها ضمن جميع المتغيرات.

ليزيت فان دير ويل

مستشار للشؤون السياسية حول الدين والتنمية (منظمة التعاون الإنمائي المشترك بين الكنائس)

Lisette.van.der.Wel@icco.nl

الإغاثة الإسلامية: الدين والهوية

مأمون أبو عرقوب- محلل سياسيات وبحوث

انطلاقاً من إيمانه ومعتقداته، قام الدكتور هاني البناء، المهاجر من أصول مصرية، بتأسيس منظمة خيرية إسلامية هي الإغاثة الإسلامية في المملكة المتحدة في عام 1984، والتي تعتبر الآن أكبر منظمة خيرية إسلامية في الغرب. ويشكل الإسلام عاملاً أساسياً في تشكيل هويتها وقيمها وخياراتها. فالدين الإسلامي يحث على العناية بالفقراء ويعتبره واجباً سيحاسب عليه كل فرد منا. وانطلاقاً من هذا المبدأ، تلتزم المنظمة بالمبادئ والقيم الإسلامية في مكافحتها للفقر، وهو ما يمكن أن يرى على أرض الواقع من حيث تنمية الموارد وجمع التبرعات من جهة، والمشاريع التي تنفذها المنظمة من جهة أخرى والناجئة من روح العمل الإنساني الإسلامي الذي تقوم به المنظمة.

تتلقى الإغاثة الإسلامية التبرعات من أفراد ومن مؤسسات ومنظمات دولية عدة ، بالإضافة إلى دخولها في شراكات واتفاقيات تعاون مع مؤسسات دينية مسيحية مثل مؤسسة كافود (CAFOD) وأخرى علمانية. كما وتتلقى المنظمة التبرعات من أفراد مسلمين وغير مسلمين على حد سواء.

ويحث الإسلام على التبرع والعطاء، كما نصت عليه العديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة منذ أكثر من 1400 عام. فيعطي المسلمون الفقراء والضعفاء بإخراج الزكاة والصدقة، ويشاركون بفعالية في برامج الرعاية الاجتماعية ككفالة الأيتام، أو المشاركة في الوقف الإسلامي الذي يعتبر من آليات تقديم الخدمات إلى المحتاجين.

طورت الإغاثة الإسلامية عمليات وبرامج مختلفة تناسب كافة أنواع التبرعات ذات الاعتبارات الدينية. على سبيل المثال، تنفذ الإغاثة الإسلامية برامج طرود غذائية خلال شهر رمضان المبارك كما هو الحال مع العديد من المنظمات الإسلامية الأخرى. وتلتزم الإغاثة الإسلامية باستخدام هذه التبرعات وفق التعاليم الإسلامية وفي ذات الوقت تلتزم بمعايير القطاع الخيري الدولي في طريقة تقديمها لخدماتها للمستفيدين.

تتعدد الطرائق التي تعكس من خلالها هوية المنظمات الخيرية الإسلامية. فالاهتمام الرئيسي للمنظمات الخيرية الإسلامية، بما فيها الإغاثة الإسلامية، ينصب بشكل كبير على سد الاحتياجات الأساسية للفقراء والضعفاء، بتقديم الطرود الغذائية، والملبس، والمأوى، وكفالة الأيتام، بالإضافة إلى معالجة مسببات الفقر، بما فيها النزاعات والاستبعاد والتدهور البيئي. ويتم كل ذلك وفقاً للإطار الأخلاقي الإسلامي بشأن التنمية والاستدامة.

وعلاوة على ذلك تعمل الإغاثة الإسلامية في مجالات عمل تتخذ نهجاً دينياً عاماً تجاه التنمية المجتمعية، كالعمل في الصحة الإنجابية، والتعليم، وحل النزاعات، حيث تبرز الهوية الدينية للمنظمة من خلال مشاريع ومبادرات ملموسة. فالإغاثة الإسلامية تقدم للمستفيدين قروضاً صغيرة من غير فائدة، وهي بذلك تلتزم بالمبادئ الاقتصادية المستوحاة من الشرع الإسلامي. وبطريقة مماثلة، صاغ الدين أسلوب المنظمة في تعاملها مع قضية مرض نقص المناعة المكتسبة/الايديز. فلقد قامت الإغاثة الإسلامية في عام 2007 بتنظيم مؤتمر حول الإسلام ونقص المناعة المكتسبة/الايديز في جنوب إفريقيا، حيث كان الهدف الرئيس من هذا المؤتمر التشاور مع الآخرين لتشكيل وتطوير نهج إسلامي يرسم كيفية مشاركة المسلمين المجتمع الدولي في جهود محاربة هذا المرض. وأخيراً، فقد شاركت الإغاثة الإسلامية في حملة "اليوبيل الفضي للديون" لتخفيف الديون الدولية واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، وهذه نماذج تدل على أن تعاليم الدين الإسلامي هي الملهم الرئيس لعمل الإغاثة الإسلامية في مجال مكافحة الفقر ومسبباته.

تعمل الإغاثة الإسلامية مع المستفيدين المسلمين وغير المسلمين. ووفقاً لتعاليم الإسلام لا يتوقع أن يكون هناك مردود للعمل الخيري المقدم إلى المستفيدين، كما ويجب ألا يتم التفريق بين المستفيدين على أساس العرق، أو الدين، أو اللون. وعليه، لا يمكن اشتراط المساعدات الإنسانية والخيرية بالانتماء الديني. وتعتبر الدعوة إلى الدين الإسلامي واجب على كل مسلم باتباع طريق الإقناع المنطقي بعيداً عن الإغواء أو الإكراه، ولذلك فإن الدعوة يجب أن تفصل عن العمل الخيري. وعليه، ومن منطلق حرص الإغاثة الإسلامية على بيان هويتها الدينية والحفاظ عليها والوفاء بتوقعات متبرعيها، ينصب الاهتمام الأساسي للمنظمة على تلبية احتياجات الفقراء والضعفاء على الدوام.

وختاماً، فإن رؤية ورسالة وممارسة الإغاثة الإسلامية جميعها مستلهم من تعاليم وقيم الدين الإسلامي. وتعكس المنظمة هويتها الدينية من خلال أنشطتها واهتمامها بالتبرعات الدينية، ونهجها المبني على الدين في تعاملها مع التنمية المجتمعية، ومشاريعها المتوافقة مع الإسلام والمستوحاة منه، وأخيراً ببيان وجهات النظر الإسلامية حول قضايا التنمية الدولية مثل الديون الدولية، والإدارة الرشيدة، ومرض نقص المناعة المكتسبة/الايديز. وتسعى الإغاثة الإسلامية إلى التوفيق بين الالتزام بمبادئ الدين

الإسلامي والوفاء بمعايير العمل الإنساني الدولي والمحاسبية. فالإغاثة الإسلامية وبشكل مدروس تكامل بنجاح ما بين وجهات النظر الإسلامية والمتطلبات المهنية لأعمال الإغاثة والتنمية.

مأمون أبو الركب
محلل سياسي وباحث، منظمة الإغاثة الإسلامية (Islamic Relief Worldwide)
Mamoun.abuarqub@irworldwide.org